البوليس

اصول التحقيق

قاضي التحقيق

١ — معلومات عامة ، ليس من وظيفة الحقوقي الذي ينتخب للمنصب رسمي اكثر مسئولية وادق من وظيفة قاضي التحقيق فكل انسان يعلم وجه الاجمال ما يقوم به المحققون من الخدمات الكبرى وما لوظائفهم من الاهمية العظمى الا انه قلما نجد من يقدر المصاعب التي تعترض قضاة التحقيق حق قدرها حتى من كان مختصاً في هذه المسائل

فلذلك يجب ان يكون قاضي التحقيق ذا نشاط وقوة بدنية ويقظة وصحة جيدة وان يكون ذا علم واسع بالجزاء والحقوق حيث يكون مرجع اليهم عملياً باحوال الناس والعمل تمارة وان يكون متجدداً في فكرة ذا حزم وعزم ويكون ذا جرأة في المواطن كلها ذا دراية وفطنة واحتمال للمتاعب . لانه يكون في كثير من الاوقات معرضاً للاخطار واقتحام الصعوبات فيخرج احيانا لمناقشة الجاني الماضي الحساب وقد يسافر من مكان الى آخر ماشياً ويذهب الى لاستجواب ذي الامراض والعلل المختلفة في منازلهم ويقف احيانا على نبش جثة ميت قد مضى عليها حين مدفونة وفضلا عن ذلك كله فهو مضطر لان يحمل ما يعرض له من المشاكل الكثيرة الناشئة من احوال الناس المختلفة ومهما كان عالماً بكثير من القضايا فلا يزال في حاجة لتعلم غيرها ايضاً وعليه تعيين ما يقتضي الاستفهام عنه من الاطباء وان يكتشف كل ما يعرض له من حيل المحتالين ويتخذ الاسباب للوقوف على ما يتذرعون به ويلجئون اليه منها فوضية تعرقلة مثلا كيف حرقت والموضع الذي حرقت منها والواسطة التي حرقت بها وفي ما تحدثه القطارات والترامات من الاصابات فضاء الى من توجه المسئولية فيه الاول فالاول وجناية نشأت عن قتل القتيل هل وقعت عمداً ام خطئاً وطوعاً ام كرهاً

الثمنة التهمة . ثم هي انا القاعدة الثابتة التي يجري القضاة احكامهم عليها في الدرجة التي يجوز استئناف عدم كفاية الادلة او وجود الشك عندها والمعنى الذي يفسر لصالح المتهم تصريحاً يكتبه مؤلفو القوانين في موقف المجرمين « اجوبة على ذلك بانه لا قاضي للضمير ولا عرفه الاتهام بمقتضى ذلك فتقضي قاعدة ثابتة لا مدخل معها في مسألة لا تخرج عن احد شيئين إما ان تدين مذكرة لا ريب فيها واما انها لا تدين كذلك في الحالة الاولى لا مصرة من اجله للمدعى في شكة الحاجات وفي الحالة الثانية لا محلص من تقرير انه لا محل لاقامة الدعوى .

في الدم بدل العذاب

اغرب ما رويته صحف الريد الاخير عن مدينة « جوها سبورج » في الهند الانكليز من غرقها تحت « البراكول » معنى عليها الآن ١٥ سنة وهي في سبات عميق لا تستيقظ منه الا مرة في كل مئة اشهر ثم تعود الى حالتها السابقة قبل ان تسترد رشدها وتستكين من الرد على الاسئلة التي تطرح عليها .

وقد كان السبب في هذا الخزن الشديد الذي استولى عليها من جراء وفاة عظيمها قبل حفلة الزواج بايام قليلة . فاحدث هذا المصاب تأثيراً عظيماً في نفسها ادى بها الى المرض ثم تحول المرض الى نوبة دائمة عجز الطب عن معالجتها .

وظلت الآلة البراكول عند الرسم على مستوصف « ريفولتين » حيث هي اليوم . وقد عد الاطباء كل امل ضائعاً ولكنهم لا يزالون شديدي العناية بها لا يفارقونها ليلاً ولا نهاراً حتى الوصول من مرافئ حالتها الحربية الى اكتشاف علمي يعود بالفائدة على البشر والانسانية .

كم هو جميل ان يعلم كل فرد يمرض اليوم عندما يقع في مدينة

كبير ومعلومات واسعة الى غير ذلك وانه يكون عالماً بالامور الجنيوية وسير الحياة حلوها ومرها واختبر المجتمعات المختلفة وقد مر عليه كثير من المشقات والاتعاب وبذلك يمكنه ان يتقدم الى خدمة الانسانية بخدمات جلى .

قد اجمع الجائيون على ان ما يكتسبه المحققون قبل مزاولتهم وظائفهم يعينهم على تسديد خطواتهم عندما يباشرون اعمالهم هذه ويقدر ما للمحقق من المعلومات الواسعة يكون نفاذه في اعماله وقد قيل ان نقص القاضي في شيء من المصاريف العامة مما لا علاقة له بوظيفته ليس بالامر الكبير ولكن لا يصلح ان يكون قاضي تحقيق اذ كل نقص في قاضي التحقيق له اثر كبير وقد يكون القاضي صالحاً لاعلى مناصب القضاء الا انه لا يمكنه القيام بهذه الوظيفة وظيفة الاستنطاق اذ من كان كذلك لا بد ان يشعر بنفسه نقصاً فقد تكون عاقبته ارتباكاً مشيناً في اعماله ولهذا فان الحقوقي الذي لم تكن فيه تلك المميزات لم يتصف بتلك الصفات فعليه ان لا يتحمل عبء التحقيق اذ ان العلم وحده في هذه الوظيفة غير كاف ومع ما يمتاز قاضي التحقيق به من العلوم والمعرفة والمعلومات العمومية يجب ان يعمل دائماً وابداً على اتمامها .

فكلمة بسيطة او جملة غير كاملة تصدر من احد السائلة قد تكون وسيلة لحل جناية معماة وحضور قاضي التحقيق لمكان الحادث ذو فائدة عظيمة لما قد يستنتجه من صغير الامور وكبيرها من الدلائل والبراهين مما ينقله الرواة له من مختلف الروايات كل بحسب اخلاصه درس ذو فائدة عظيمة ويجب ان يتثبت من كل ما يقال له وينقل اليه .

فقاضي التحقيق المبتدئ مما يجب انه لا يهمله درس كل ما يتعلق بالصناعات والطرق الفنية والابداع شيئاً من دون ان يدرسه درساً مدققاً وعليه ان يجتهد في تعرف احوال الناس على اختلاف طبقاتهم وكل ما صادف احداً من الناس او لقيه يجب ان يجعل حديثه معه درساً وبحثاً وحينئذ لا يمكن ان يخدع باحد دون ان يستفيد منه فائدة تامة ان لم يكن حالاً فمستقبلاً .

وكيف نشأت وصار حدوثها وفي حدوث نتائج سيئة باضطرار مرجل هل كان يفجر او كانت العلل جارياً فيه بحسب العادة وهل انفجر المرجل بنفسه او بالطباخ حر الشمس او ما يقتضيه العمل او كان العامل غير مدرب او قلة المراقبة او لتأثير الهواء او لتبديل طرق التسخين في ذلك اليوم او بأي سبب من الاسباب وما احتال به التجار حتى خيل للمشتري ان البضاعة جديدة السن وان يكون بيا نرأه من الكتب التجارية وباصول التجارة عالماً ويكون واقفاً على اللغة العامية وله مقدرة على حل « الجيبرة » معارفاً بالاصول التي يتمشى عليها العملة عموماً وما يستعينونه من الادوات وما تصلح له كل آلة وتكتسب هذه الامور في الغالب وهذه المعلومات بمزاولة قاضي التحقيق وظيفته وترسخ كملكة فيه دما يلزم لوظيفته من الحزم . وبعد النظر يأتي له بالتجارب المشورة وان وقع في بعض الاخطاء بقليلا عن ذلك كله يجب ان يكون شديد التفحص عرفة هذه بحيث لا يدع واردة ولا شاردة تمر به دون ان يستفيد منها علماً وخبرة سواء كان اثناء عمله او لم يكن فاحتفق البقط يروى في آثار الاقدام على الطين وانطباعها على العمار ادلة ويتحدث منها براهين ويقرأ الحقائق في اصغر الحوادث التي يشاهدها في آثار الحيوانات ومحلات العربات شواهد جمة يستطلع بها الحقائق ويتبين وقوفها وسيرها يقرأ الحوادث ويتتبعها في آثارها ويدرك بها اذا التبست قطع الاوراق من نافذة او من محل آخر ويستدل بنشور الشعر على المكسور منها وكذلك قطع الزجاج المحطمة وفيما اذا كانت الاثواب والملابس قد قطعت بطرق غير معتادة ثم اقفلت والبشور فيما اذا حركت من مكانها ويستدل بما يراه من الادوات المهملة على ما وقع قبل قليل من الحوادث ويرى فيها الآثار .

فالاستدلال على دلائل وبراهين قاضي التحقيق هنا في مسألة استدلال على ما كان قبل حدوثها وما يلزم اتخاذه من الامور ومتى نسع في الامور على هذا المنوال فالوصول الى النتائج فيما بقي سهل غير عسير والا فلا فائدة من انتظار الاتهام والصدف الوصول الى حل حقانية ما واكتناه نجاتها والرجل الذي يراد تعيينه قاضياً للتحقيق يلزم ان يكون حائزاً على المواهب المذكورة من عقل

فظننته يازحني فترددت في رفع يدي. واذا بالمسدس مدى وقسم من الذي يظهر الى الجانب الآخر من العربة.

فعراني خوف عظيم واسرعت الى رفع يدي. ولما لا اجسر فزاد احداهما الى اذني التي كانت تؤلمني جداً.

ثم قال: ارم بي بتلك الآلة الموضوعة بجانبك فعلمت واسرعت ان اضع مسدسي (الناطور) بجانبي. صدقني فصدقت بالامر.

ثم قال: ارفع حذاءك يسار جانبك وقف عارياً. اني نظرت الى البعيد لكنه لم يبقني فانطلق منتفضاً واطلق ذراع اليسرى.

فاسرعت بفعل ما طلب مني وقلعت حذاء ذلك الرجل الشديد بذراع الجسم واما ارتجف من الخوف والالم.

وبعد ان فعل ذلك جمع ثيابي بكل ما يمكن القبض به من قشة العربة فحملها الى داخل البيت وهو يقول: الآن أطلق سراحك فاذهب حيث تريد.

فصرخت رحماك يا سيدي كيف اخرج الى الشارع هكذا كما ترى. يرثى الخلق علي فقد كاد البرد يودي بي.

لكنه لم يلتفت الي دخل الى المنزل واقفل الباب الداخلي وراءه.

فحرت في امري ووقفت في تلك العربة واما غاية لصبك الشكل. والي كذلك اذا ابصرت احد رجال البوليس يتمشى وقد بدأت تباشير الصباح في الافق تظهر فخفت ان يدركني البرد على هذه الحالة واطلق الى السجن كرها بعد ان يفتضح امري واعاني ما لا يطاق من البرد. فرأيت ان اسلم نفسي للبوليس فانجو من البرد والفضيحة.

فتقدمت الى النافذة واومأت الى البوليس الذي يتقدم مني ثم قلت له اني لص دخلت هذا البيت قصد السرقة واني احب ان اسلم نفسي للقانون.

فظن البوليس اني بي مساً من الجنون وقال ارى يا سيدي ان ترجع الى فراشك وتنام. فقلت مهلاً يا هذا ما انا مجنوناً ولكني لص وقصصت عليه القصة كما حدثت فدخل حينئذ الي والبسني ثيابه ثم قادني الى دائرة البوليس وبعد محاكمتي صدر الحكم علي بعشر سنوات في الاشغال الشاقة. وقد تممت

اعتراف لص

يروي احد اللصوص هذه المغامرة الغريبة عن نفسه قال :

خرجت في منتصف احدى الليالي ومعي ادوات السرقة من مفاتيح وسلالم وحبال حديدية وغير ذلك حتى انتهيت الى بيت الاحد الاغنياء

وكانت الليلة باردة جداً والارض مغطاة بطبقة كثيفة من الثلج فضحكت من دخول القسم الاسفل من البيت وصعدت الى غرفة النائمة حيث كنت اتوقع ان اجد كنوزاً من الاموال الحصينة .

وبينما انا اجمع تلك الاموال واضعها في كيسي سمعت حركة وراقبت فاذا بشبح ذوي البنية والقد الطويل الوادي الى داخل البيت وبيده مسدس مصوب الى صدري .

فمن هذه المفاجأة وحاولت ان اهجم عليه واذا به قد ابتدأ الاطلاق النار فقال في نفسي اذا اردت النجاة فعليك بالحيلة لا بالقوة — فرأيت في الحيلة دلائل العزم الاكيد وانه لا يتسنى لي النجاة الا بحركة ما .

فوقفت بكامل كالصنم لا ابدي حراكاً فرأيته نزل في وجهي والمسدس لا يزال الى صدري وقال :

ألص انت ؟

قلت نعم

قال طالما تمنيت ان القى لصاً احد اللصوص في هذه الساعة لاداعبه قليلاً واعلم الناس كيف يجب ان يعاملوه

قلت اتعدني الك في البيت تحت رحمتك في الطلق سراحي امناً ؟

قال نعم اذا خدمتني في كل الخضوع .

قلت حسن فاقض ما بدا لك .

قال قف لدي مستسلماً وارفع يديك الى الملاء فاردت مداعبته بدوري فقلت : المسدس الي لا اعمل ذلك . قال : اطيعني اذ لك اليسرى برصاصة من مسدسي .